

أضواء البيان

@ 389 @ يشاء : إن شاء خلقه من أنثى بدون ذكر كما فعل بعبسى . وإن شاء خلقه من ذكر بدون أنثى كما فعل بحواء . كما نص على ذلك في قوله : { وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا } أي خلق من تلك النفس التي هي آدم زوجها حواء . وإن شاء خلقه بدون الذكر والأنثى معاً كما فعل بآدم . وإن شاء خلقه من ذكر وأنثى كما فعل بسائر بني آدم . فسبحان العليم القادر على كل شيء ؟ وما ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة : من كونه جعل عيسى آية حيث ولدته أمه من غير زوج أشار له أيضاً في (الأنبياء) بقوله : { وَجَعَلْنَاهَا } وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ { ، وفي (الفلاح) بقوله : { وَجَعَلْنَاهَا ابْنًا مَرْيَمَ وَأُمُّهُ } وَأَيَّةٌ وَءَاوَيْنَاهُمَا } . . .

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة : { وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَفْضَلِ مَا كَانُوا } فيه حذف دل المقام عليه . قال الزمخشري في الكشاف : { وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَفْضَلِ مَا كَانُوا } تعليل مع حذف . أي ولنجعل آية للناس فعلنا ذلك . أو هو معطوف على تعليل مضمرة ، أي لنبيين به قدرتنا ولنجعل آية . ونحوه { وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ } بِإِلْحَاقِ { وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَفْضَلِ مَا كَانُوا } ، وقوله : { وَكَذَلِكَ } مَكَّنْنَاهُ لِيُؤْثِرَ عَلَى الْآخِرِينَ { وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَفْضَلِ مَا كَانُوا } . . .

وقوله في هذه الآية { وَرَحْمَةً } أي لمن آمن به . ومن كفر به فلم يبتغ الرحمة لنفسه ، كما قال تعالى في نبينا صلى الله عليه وسلم : { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ } ، وقوله تعالى : { نَتَخَذُهَا حِزْبًا } وَكَذَلِكَ أي وكان وجود ذلك الغلام منك أمراً مقضياً ، أي مقدراً في الأزل ، مسطوراً في اللوح المحفوظ لا بد من وقوعه ، فهو واقع لا محالة . قوله تعالى : { فَحَمَلَتْهُ } فَأَنْزَلْنَاهُ فِي مَكَّنَّا قَصِيًّا فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَالَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَّسْنُونًا } .

ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة : أن مريم حملت عيسى . فقوله { فَحَمَلَتْهُ } أي عيسى فَأَنْزَلْنَاهُ فِي مَكَّنَّا قَصِيًّا : أي تنحت به وبعثت معتزلة عن قومها { مَكَّنَّا قَصِيًّا } أي في مكانها بعيد : والجمهور على أن المكان المذكور بيت لحم . وفيه أقوال أخر غير ذلك .

وقوله : { فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ } أي ألجأها الطلق إلى جذع النخلة ، أي جذع نخلة في ذلك المكان . والعرب تقول : جاء فلان ، وأجاءه غيره : إذا حمله على المجيء ،